□ الخاتمــة □

أخي ، لتكنْ لك همَّة تنطح الثريَّا .

« إذا أُعطي العبد همّة كبرىٰ ؛ ارتحلت به في دروب الفضائل، وصعِدتْ به في درجات المعالي .

ومن سجايا الإسلام التحلِّي بِكبَر الهمَّة وجلالةِ المقصود ، وسموِّ الهدف وعظمة الغاية.فالهمَّة هي مركز السالب والموجب في شخصك ، الرقيب على جوارحك ، وهي الوقود الحِسّي والطاقة الملتهبة ، التي تمدُّ صاحبَها بالوُثوب إلى المعالي ، والمسابقة إلى المحامد . وكِبَرُ الهمَّة يجلب لك – بإذن الله – خيرًا غيرَ مجذوذٍ ؛ لترقى إلى درجات الكمال ، فيُجري في عروقك دمَ الشهامة ، والركْض في ميدان العلم والعمل، فلا يراك الناس واقفًا إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطًا يديك إلا لمهمَّات الأمور ، تُنافس الروَّاد في الفضائل ، وتزاحم السَّادة في المزايا ، لا ترضىٰ بالدُّون ، ولا تقف في الأخير ، ولا تقبل بالأقل .

والتحلي بالهمة؛بها يُسلَب منك سفاسف الآمال والأعمال ، ويُجتثُّ منك شجرةُ الذلِّ والهوان ، والتملُّق والمداهنة .

فكبير الهمَّة ثابت الجأش لا ترهبه المواقف ، وفاقدها جبان رِعْديد ، تُغلِقُ فمَه الفهاهةُ .

ولا تغلطْ فتخلط بين كِبَر الهمة والكِبْر ؛ فإن بينهما من الفرق كما بين السماء ذات الرَّجْع والأرض ذات الصَّدع ، فكِبَر الهمة تاجٌ على مَفْرِق القلب الحرِّ المثالي ، يسعىٰ به دائمًا وأبدًا إلى الطهر والقداسة والزيادة والفضل ، فكبير الهمة يتلمَّظ على ما فاته من محاسن ، ويتحسَّر على ما فقده من مآثر ، فهو في حنين مستمر ، ونَهَمٍ دؤوب ، للوصول إلى الغاية والنهاية .

كِبَرُ الهمَّة حِلْيةُ ورثةِ الأنبياء ، والكِبْر داءُ المرضىٰ بعلَّة الجبابرة البؤساء .

فكِبَر الهمَّة تصعد بصاحبها أبدًا إلى الرُّقيّ ، والكِبْرُ يهبط به دائمًا إلى الحضيض .

فيا طالب العلم ، ارسمْ لنفْسك كِبَر الهمة، ولا تنفلت منها، وقد أومأ الشرع إليها في فقهيَّاتٍ تلابِس حياتك ؛ لتكون دائمًا على يقظة من اغتنامها ، ومنها : إباحة التيمُّم للمكلَّف عند فقْد الماء، وعدم إلزامه بقبول هِبَة ثمن الماء للوضوء؛ لما في ذلك من المِنَّة التي تَنال من الهمة منالًا .. وعلى هذا فقسْ .

همَمٌ كأنَّ الشمسَ تخطبُ وُدَّها والبدرَ يرسم في سَناها أحرُفَا

فالله الله في الاهتمام بالهمة ، وسَلِّ سيْفها في غمرات الحياة .

هوَ الجدُّ حتَّى تفضُلَ العيْنُ أُختَها وحتَّى يكونَ اليوم لليوم سيِّدا »[1]

يا ابن الإسلام .. ويا عالي الهمة :

فأَطلِقْ لـرُوحكَ إشراقَهـا ترى الفجر يرمقنا من بعيد

وقلْ لكلِّ حاقدٍ- صليبيٍّ أو يهوديٍّ أو علماني-: اخسأ؛ فلن تعدوَ قدْرَك.

لا تهيِّئْ كفني يا عاذلي فأنا لي مع الفجر مواثيقُ وعهْدُ

واهدِرْ بصوتك مجلجِلًا يُصِمُّ آذانهم :

أناضِلُ عن دينٍ عظيمٍ وهبتُهُ عطاءَ مُقِلٍّ مهجتي وحياتيا

ومُمتثِلٍ لله أسْلَمَ وجهَـهُ يقولُ أنا وحدي سأحمي دينيا

بظهري ببطني بالذِّراع بمقلتي بجنبي بعظْم الصَّدْر حتى التَّراقيا

تأخَّرْتُ دهرًا باللَّذائذ والمُنَى ومِن حذَر الدنيا وخوْف العواديا

فلمْ أرَ يومًا كالتقدُّم لذَّةً ولم أرَ عيْشا كالتقدُّم هانيا

على ذروةِ التوحيدِ تخفقُ رايتي وتحتَ روابيها تصبُّ دمائيا

وعلى الذرا .. ومنارات الدنيا؛ردِّدْ للكون نداءك : « ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار » .

---

(١) لا تحزن ، لعائض القرني صـ ٢٨٦ - ٢٨٧ .

لإسلامي ولو حتَّى إلى الجدران شدُّوني
لإسلامي ولو حتَّى إلى النيران زفُّوني
لإسلامي لإسلامـي ولو في السُّوقِ باعوني
وإسلامي له نبضي له عِرقي وتكويني
وثـارات لإسلامـي تُعايشني تغذّينـي
تبثُّ النور في رُوحي وتنبِض في شرايني

أخي :

قد أطلْتُ عليك .. وأسهبتُ في بعض المواطن واستطردتُ ، ولعلَّ لي عذري .. وتركتُ فصولًا أخرى لطبعات تالية ..

أخي القارئ :

هذا جمعي ، لك غُنْمُه وعليَّ غُرْمُه ، لك ثمرتُه وعليّ تبعتُه ؛ فما وجدت فيه من صوابٍ وحقٍّ فاقبله ولا تلتفتْ إلى قائله،وما وجدت فيه من خطأ فإن قائله لم يألُ جهدَ الإصابة ، ويعلم الله أنه أخذ من لحمي ودمي ، ويأبَى الله إلا أن يتفرَّد بالكمال ، كما قيل :

والنقصُ في أصل الطبيعةِ كامنٌ فبنو الطبيعة نقصُهم لا يُجحَدُ

وكيف يُعصَم من الخطأ من خُلِق ظلومًا جهولًا ؟!!

ومن الفأل الحسَن لهذا الكتاب – وأسأل الله بكرمه أن يضع له القبول في الأرض – أن أكتبَ مقدِّمته في الروضة النبويَّة بالمسجد النبوي ، وأن أختمه ولله الحمد وأضع القلم فراغًا منه لأذهب لأفضل الصلوات ؛ قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة »[1] .

(١) صحيح : رواه أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب عن ابن عمر ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم ٥٦٦ .

وأختم كتابي بهذا الدعاء علَّه يناسِب « علو الهمة » .

* **اللَّهُمَّ** يا وارِثَ الأرضِ ومَنْ عليها ، ويا باعِثَ جميعِ مَن فيها ، ورِّثْ أمَلي فيكَ مُنىٰ أمَلِي ، وبلِّغْ همِّي فيك مُنْتهىٰ وسائلي .

* **اللَّهُمَّ** متِّعْ أبصارنا بالجَوَلانِ في جَلالِكَ ، وسهِّرْنا عمَّا نامتْ عنهُ عُيون الغافلين .

* **اللَّهُمَّ** اجعلْنا من الذين لخدمتكَ في أقطار الأرض لهمْ طُلَّابًا، ولخصائص أصفيائك أصحابًا ، وللمعتكفين ببابك أحبابًا .

* **اللَّهُمَّ** اجعلْنا ممَّن بذلوا المجهود في طلب مرضاتكَ ، وانصرفتْ عن خلْقك إليك همومُهمْ ، وأنِسَتْ وطابتْ بالخلوَة فيك نفوسُهم ، ولا يسعَوْن في طاعتك إلَّا ركْضًا .

* **اللَّهُمَّ** سُقْنا إلى أقصىٰ مرادِكَ درجةً درجةً، واسلُكْ بنا منازِلَ أصفيائك منزلةً منزلةً ، واكشفْ لنا عنْ مكنون علْمك حجابًا حجابًا حتى نتنزَّه في بساتينِ نشْرِ آلائِكَ ، ونرتوي من غدْران ذكْر نَعْمائِك .. ارددْ أبصارَنا وبصائرنا بطُرَفِ الفوائد ، وامددْها بتُحَف الزوائد ، واجعلِ العيونَ منا فوَّارة بالعَبَرات ، والصدورَ منَّا محشوَّة بالحرقات .

* **اللَّهُمَّ** إني أسأَلُك منك ما هو لكَ ، وأستعيذك مِن كلِّ أمْرٍ يُسخِطكَ .

* **اللَّهُمَّ** إني أسألك من صفاء الصفاءِ صفاء أنال به منك شرَفَ العطاء .

* **اللَّهُمَّ** ولا تشغلْني شغْلَ مَن شغَلَهُ عنك ما أراد منك، إلا أن يكون لكَ.

* **اللَّهُمَّ** اجعلْني ممَّن يذكرك ذكْر مَن لا يريد بذكْره منك إلا ما هو لك.

* **اللَّهُمَّ** اجعلْ غاية قصدي إليك ما أطلُبُه منك .

* **اللَّهُمَّ** املأ قلبي بك فرحًا،ولساني لك ذكْرًا ، وجوارحي فيما يُرضيك شغلًا .

* **اللَّهُمَّ** امحُ عن قلبي كلَّ ذكْرٍ إلا ذكْرَكَ ، وكلَّ حُبٍّ إلَّا حُبَّك، وكلَّ وُدٍّ إلَّا وُدَّك ، وكلّ إجلالٍ إلَّا إجلالَكَ،وكلَّ تعظيمٍ إلا تعظيمك .
* **اللَّهُمَّ** اجعلْ سؤالي لك سؤال محابِّك ، ولا تجعلني ممَّن يتعمَّد بسؤاله مواضِع الحظوظ ، بل يسأَل القيامَ بواجب حقّك .
* **اللَّهُمَّ** اعصمْنا فيما بقي من الأعمار إلى منتهى الآجال ، عصْمةً دائمة كاملة تامَّة ، وكرِّهْ إلينا كلَّ الذي تكْرَه ، وحبِّبْ إلينا كلَّ الذي ترضاه وتحبُّه ،واستعمِلْنا به على النحو الذي تحبُّ ، وأدِمْ ذلك لنا إلى أن تتوفَّانا عليه ،أكِّدْ على ذلك عزائمنا ، واشددْ على ذلك نيَّاتِنا ، وأصلح لها سرائرنا ، وابعثْ لها جوارِحَنا ، وكنْ وليَّ توفيقِنا وزيادتنا وكفايتنا .
* **اللَّهُمَّ** هبْ لنا ما وهبتَ لصفوتكَ وأوليائك وأهل طاعتك من دائم الذكْر لك ، وخالص العمَل لوجْهِك ، على أكمله وأدْوَمه ، وأصفاهُ وأحبِّه إليك ، وأعِنَّا على الفعْل بذلك إلى منتهى الآجال .
* « **اللَّهُمَّ** اجعلْ في قلبي نورًا ، وفي لساني نورًا ، وفي بصري نورًا ، وفي سمعي نورًا ، وعن يميني نورًا ، وعن يساري نورًا ، ومن فوقي نورًا ، ومن تحتي نورًا ، ومن أمامي نورًا ، ومن خلفي نورًا ، واجعل لي في نفسي نورًا ، وأعْظِمْ لي نورًا »[(١)] .

وأخيرًا وليس آخرًا إلى إخواني القرَّاء :

أناشدُ الله مَن قرأ هذا الكتاب وانتفعَ به ، أن يسأَل الله سبحانه أن يجعلني من العلماء الربانيِّين، وأن يرزقني شهادة في سبيله، وموتًا في بلد رسوله ﷺ.
كما أُناشدكم الله أن تدعوا لابنتَيَّ [سمية وفاطمة] بالصلاح والفلاح

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس .

والطهر والعفاف، وأن يجعلهما الله من القانتات التائبات العابدات، الحافظات للغيب بما حفِظ الله .

* * *

وكتبه حامدًا ومصلّيًا

الفقير إلى رحمة ربه

السيد بن حسين العفّاني(١)

جمهورية مصر العربية - محافظة بني سويف - مركز بني سويف ، قرية بني عفّان

صندوق بريد رقم [١٢٣]

الدكتور : السيد بن حسين بن عبد الله

ت : ٤٩٢٥٢٢ / ٠٨٢

٤٩٢٥١٢ / ٠٨٢

(١) لمن أراد أن يراسلني لمعرفة رأيه في الكتاب ؛ فرحم الله امرأً أهدى إلي عُيوبي .